البحث الثاني

النفس ومن سواها (النشمثا) وفق الفكر المندائي

قرأت مرات عديدة الكتب الدينية للأديان السماوية الموحدة، فتجد هناك ذكر للنفس أو الروح ولكن ليس بشكل تفصيلي معمق، كلمات قليلة ولكن معانيها كبيرة وعميقة، وتحتاج إلى تفسير وشروح واسعة، ولكن عندما تطلع على كتاب الكنزا ربا تجد أن الجزء الأيسر منه خصص للنشماثا (النفس + الروح) وأعطاها مجالاً واسعًا وشرحًا تفصيليًا تحس أن المؤمن والباحث بأمس الحاجة لهذا التوضيح الواسع والمعمق.

يؤمن الصابئة المندائيون أن الإنسان ببساطة يتكون من نفس وروح وجسد، ويعتبرون النفس شيء روحي من عالم النور، وهي هبة الخالق التي لا تفنى، وهي طاهرة نقية لا تشوبها شائبة وتمثل الطاقة المتأججة، وهي تتحكم بأمزجة الإنسان، بينما العقل (مانا) يتحكم في أفعاله الواقعية، والنفس لا تحاسب لأنها حرة نقية: (هلمي يا بنت الأحرار، يا من سموك أمة في دار الأشرار... هلمي، فماذا أفعل بك يا جسدي؟ لقد جبلت من طين، وستعود إلى الطين ... وكل من عذبوك داخل هذا العالم، يقفون معذبين يوم الحساب).

ونص آخر يقول: بسم الحي العظيم:
(أيها الجاهلون، أيها الساذجون... ما لكم عليّ تحزنون؟ أنفسكم من الطعام تحرمون... وعلى الحصر ترقدون... ثيابكم تقطعون، ودموعكم تذرفون وشعركم تقلعون* لا بارك الله في رداءٍ عليّ يمزّق... ولا في دمعٍ عليّ يهرق... ولا في شعرٍ يقلع عليَّ أو يحلق* لقد حان أجلي وهبط المخلّص إليّ، وها أنا ذاهب إلى بيت الحيي) والحي المزكي.

وهذا يعني أن النفس تذهب إلى عالم الأنوار من حيث أتت لتحيا حياة أبدية ثانية، أما الروح فتمثل الأعمال والفعاليات التي يقوم بها الإنسان من المهد إلى

اللحد، خيرًا كانت أم شرًا لأنها العنصر الطليق الذي يتحرك بحرية في الكائن الحي عبر المكان والزمان، والروح تخضع للحساب في محطات الحساب (المطراثي).

تمر الروح بهذه المحطات لتحاسب على ذنوبها التي اقترفتها خلال فترة الحياة، فتكون المحطة الأولى للحكام والقضاة والثانية للقتلة سفاكي دم بني آدم، والثالثة للزناة منتهكي حرمات الناس... وهكذا، ونذكر شيئًا من الكتاب المقدس الكنزا ربا عن عروج الروح في المطراثي:

بسم الحي العظيم:
(أجساد معروقة...
ووجوه مثل أواني الفخار المحروقة.
من هؤلاء الرازحون تحت هذا الهم ؟
قالوا جناة الدم
القتلة...
أجسادهم تبقى كما تبصر مشتعلة
لا يأتيها موت ثان
ينقذه من هذه النيران
لأرواحها موت ثان
تأتي وتروح الأزمان
وهي على هيئتها باقية)... والحي المزكي.

أما الجسد (بغرا) فهو فاني، جُبل من تراب وإلى التراب يعود، ويمثل الوعاء أو الجذع أو الحبس للنشماثا أثناء حياة الإنسان، والإنسان خلال مرحلة حياته يحرص على نظافته وسلامته، ولكن بعد الموت يودع الثرى، وتقام الصلوات ويقدم طعام الغفران (اللوفاني) وتعطى الصدقات ليس تكريمًا للجسد بل للنشمثا لمساعدتها في الصعود والعروج وتجري لها مسقيثا العروج إلى عالم الأنوار، ويعطى الأجر والثواب مدة خمسة وأربعين يومًا... كذلك أيام الآحاد والأيام

الدينية والأعياد حيث يقام اللوفاني وتقدم الصدقات طلبًا للرحمة والمغفرة وراحة النفس، يباركها الحي العظيم ويسهل عروجها إلى عالم الأنوار (الجنة).

إن النشمثا (النفس + الروح) وفق الفلسفة المندائية تصعد سويًا بعد الوفاة في اليوم الثالث من الوفاة (دفن الجسد) باتجاه عالم الأنوار لتصل في معراجها إلى الملاك أباثر سادن باب الجنة، وهناك تنفصل الروح عن النفس، فتبقى النفس الطاهرة النقية أمانة عند الملاك أباثر وتذهب الروح إلى محطات الحساب (مطراثي) لتحاسب على ما اقترفته من ذنوب خلال مرحلة الحياة، ويكون شيتل بن آدم هو ميزان المقارنة، فإن رجحت كفة الحسنات مرَّت الروح بمحطات الحساب بسلام، وعادت فصعدت إلى الملاك أباثر وهناك تتحد (لوفا) مع النفس لتكون النشمثا التي تعبر المياه الفاصلة (هفيقي ميا) بمساعدة ملاك الأحد (هبشبا).

وتعود إلى الدموثا (المثيل أو النظير أو الشبيه) الذي أخذت منه بأمر من الحي العظيم عند الصيرورة في رحم الأم... وهكذا تدخل النشمثا بالدموثا وتسكن في عالم الأنوار على هيئة ملاك أثيري، وهنا تبدأ مرحلة الحياة الثانية الأبدية التي ليس فيها موت ثاني، وليس فيها أمراض ولا أوجاع ولا شيخوخة ولا أي نوع من الأدران ولا حر ولا برد ولا عطش ولا جوع ولا عوز ولا نقصان.

إن النشمثا يتم تنقيتها وتطهيرها خلال فترة الحياة الأولى بالتعميد (الصباغة)، وبعد الوفاة تساعد النشمثا في مسيرة العروج إلى عالم الأنوار بإجراء طقس (المسقثا) خاصة للذين توفوا وفاة غير طبيعية في الحوادث والحرائق والغرق وسواها، حيث المسقثا يتحول إلى هيئة روحانية نورانية، وتساعد النشمثا في الصعود والعروج إلى عالم الأنوار أي إلى خالقها متحدة ببدنها النوراني (أصطونا).

أما الأجزاء الأخرى في الكيان البشري التي لها أهميتها الدينية مثل الاسم الديني (الملواشا)، فهناك اثنا عشر اسمًا دينيًا لكل المندائيين المؤمنين يُحدَّد

بحسابات دقيقة معتمدًا على الاسم الديني الأول للأم وساعة الولادة وتاريخ الولادة، ووفق ما ورد في الفصل الرابع البحث الأول ولهذا على كل أم مندائية أن تدوِّن هذه المعلومات وتحفظها وتسجلها في الصفحات الفارغة من الكتاب المقدس التي خصصت لتدوين مثل هذه المعلومات المهمة.

ولهذا فإن الرجال المندائيين الذين يتزوجوا من ديانات أخرى وينجبن منهن أبناء أو بنات لا يعترف بمندائيتهم لكون أمهم لا تمتلك اسمًا دينيًا (ملواشة)، فيبقى الأولاد والبنات بدون ملواشة وهذا الحال يشكل الآن بعد الهجرة الواسعة مشكلة كبيرة فكثيرون الذين تزوجوا من ديانات أخرى وأنجبوا أبناء لا يعترف بمندائيتهم، ومازالت المشكلة قائمة لدينا بدون حل، فالخليقة وجدت بتسمية الأسماء، وهكذا أخذ كل شيء اسمه الصحيح، وبدون الملواشا يختفي الشخص ولا يعود له وجود ديني وفق الفلسفة المندائية، إن بقاء الاسم الديني بعد الموت مرئيًا ومسموعًا يكون لصاحبه رمزًا للراحة والغفران والذكر الطيب.

أما العقل (مانا) فهو مقر التفكير والخير والشر، وهو الحياة العقلية الخلقية للفرد ، ويعتبر الضمير مركز الصدق والأمانة والوفاء، أما القلب (لبا) فهو العضو البشري النابض بالحياة والإحساس وتلك العناصر تتحمل مسؤولية السلوك الحسن والسلوك السيء، ويوم الحساب ينبغي على المرء أن يتأكد قبل وفاته أنه لا يحمل وزر الخطيئة أو الضغينة بسبب ضعف الإيمان لأن ذلك يؤدي به إلى الظلام والعذاب.

وردت نصوص عديدة في كتاب الكنزا ربا القسم الأيسر عن النفس، تسابيح كثيرة نذكر منها التسبيح السادس...

بسم الحي العظيم

(وتنطلق نشمثا وتطير محلقة وحدها في الأثير... استوقفت المحاسبون النفس وسألوها بقوة من أخرجوها ؟ واسم من ذكر عليها حين أطلعوها ؟ خرجت بقوة حييّ ، وذكر عليّ اسم منحادحيي وأنا ذاهبة إلى بيت حييّ... قالوا

سامحينا وقدام الحي اذكرينا... قالت حين أصعد إلى بيت هيّ العظيم ، ويسألني خالقي الكريم العارف العليم ، ويأتي الشهود ويشهدون ، شهود كشطا من كل مكان يقبلون ، وحق كل ما يقولون ، فماذا سأفعل أيها الظالمون ؟

سأقول الحق كله ، وسوف لن ترى النور أعينكم ، ولن تعرف الثبات أرجلكم... أنا وإخوتي الأثريون إلى بلد النور أصعد ويصعدون ، إلى البلد الذي شموسه لا تنطفئ وأنواره لا تختفي ، وأنتم جميعًا إليه مدعوون ، أيها الأخوة الصالحون)... والحي المزكي.

وهذا تسبيح آخر يخص عروج النفس إلى عالم الأنوار...

بسم الحي العظيم

(عارية جئت إلى العالم ، فارغة منه أخرجوني مثل عصفور وحيد ، أسمع صوت نشمثا من بعيد وهي تولول وتبكي وتعيد : ماذا أصنع لك ياجسدي؟

لو كنت يا جسدي ثوبًا من ضياء ونور ، للبستك فصعدت معي إلى بيت هيي.

لو كنت هميان ضياء ونور ، لتحزمت بك فصعدت معي إلى بيت هيي.

لو كنت إكليل ضياء ونور ، لتوجت بك رأسي فصعدت معي إلى بيت هيي.

لو كنت عصا ضياء ونور ، لأمسكتك بيدي فصعدت معي إلى بيت هيي.

لو كنت نعال ضياء ونور ، لانتعلتك فصعدت معي إلى بيت هيي.

إنني أسمع صوت رسول الحي ينادينى :

أيتها المنيرة

هلمي

أيتها المعطرة الأثيرة

هلمي)...

* * *

وهنا من الضروري أن نذكر شيئًا آخر عن المطراثي (دار الحساب) ، فهنا وصف الحي رجل صادق آمين كثير الحسنات كثير الصدقات من المؤمنين الكاملين بعد وفاته تأتي روحه لتحاسب في محطات الحساب...

اسمك

رسمك

قدمها

قلتهما منور الأكاليل فوق الرأس

فسجد الحراس

مررت بالزناة

مررت بالخطاة

مررت بالكاذبين

مررت بالولاة والقضاة والسلاطين

وجدتهم وجوههم لا تبين

وسط غيوم الدخان

ولهيب النيران

ثم رأيت نسوة في مجمر يفور

يُلقين من الصدور

في وسط النيران

وحولهن أعين تبكي

وألسن تحكي

قالوا :

أطفالهن نحن يا غيور

أطفالهن نحن يا عزيز النور

لم يرضعننا... تركنا نموت

ثم تابع الرجل الصادق المؤمن كثير الحسنات مروره في محطات الحساب ،
وقال :
ذكرت اسمي
وذكرت رسمي
فسجد الحراس
صعد الرجل الباهر الصدق
من دار أهل الخطايا
كان الملاك لاير برايا يتأمله
أيها الرجل الباهر الصدق :
كيف تشبه تلك المنازل التي جُزت بها
والخطاة ؟
سألته الحياة
قال :
مثل ذبابٍ تراكم فوق حفافٍ القدور
والبخار يفور
كلما مسها تتقطع أجنحة وصدور
ثم تسقط وسط القدور
صعد الرجل الباهر الصدق
في بلد الحق
ألبسته الحياة ضياء ونور
ورضا وحبور
وسلام وأمن كبير
ومر الرجل الباهر الصدق بمحطات أخرى فوجد نساء :
وهن يرضعن بغفلة من البيوت
أطفال عشاقهن
أغمضت عيني من الأحزان

وفيها دمعتان
ثم ذكرت اسمي... ورسمي
فسجد الحراس
وحزنت على هذه الدار
ممتلئًا حزنًا على أهل النار
ثم وصلت دارة الكفار
المشركين ثانيًا ، وثالثًا بملك الأنوار
وعابدي الأخشاب والأحجار
سألت ماذا يشبهون
سمعت صوتًا قال :
كغنم يقودها مضلل محتال
يوقفها على ضفاف عالية
الماء يجري تحتها
تراه بالعيون
لكنه أبعد ما يكون
فهي عطاشا أبدًا
لاهبة الأحشاء
وكلما رؤوسها دنت
يبتعد عنها الماء

* * *

حين أخذت نشماثا (النفس) من عالم الأنوار وجاءوا بها إلى هذا العالم وأدخلوها إلى الجسد لتمنحه الحياة، اعتبرت هذا الجسد سجناً لها، وأنها كانت في عالم مثالي، وأنزلوها إلى عالم فيه نفاق وفيه كذب وزور، ولكنها علمت من خالقها

أن مكوثها في هذا الجسد لن يطول وأنها ستعود ظافرة إلى موطنها الأصلي عندما ينتهي عمر هذا الجسد.

(أيتها النفس... لقد ذكرك الحي بخير ، فعودي إلى جسدك الذي كنتِ فيه ، إن كنتِ افتقدتِه فادخليه).

وهذا يعني أن الله جلَّ جلاله أمر المخلص أن تعود هذه النفس إلى عالم الأنوار أي عالم الملائكة الأثريين، ولتقرأ نصًا من كتاب الكنزا ربا عن خروج النفس من جسم الإنسان عندما ينتهي عمره في هذا العالم:

(أخرجوني وأغلقوا ورائي الأبواب والشبابيك ، أغلقوا الكوتين اللتين كنت أسمع بهما تعاليم الحي ، أطفئوا القنديلين اللذين كانا ينيران بأمر الحي ، سدوا الغم الذي كان يسبح كل يوم للحي...
وتعدل الميزانان... الميزانان الاثنان منكفئان... اليدان اللتان كانا لخالقهما يبتهلان ، والأجر والصدقة تعطيان ، وبالكشطا (الحق) تنبسطان... انكسرتا وسقط العمودان ، فهمد الهيكل كلهُ واستكان ، لقد خدع الجسد صاحبه ، فكيف له على المكر والخداع أن يواكبه ؟)

وتنطلق نشمثا وتطير ، محلقة وحدها في الأثير ، خرجت بقوة هيي (الحي) ، وذكر عليّ اسم منادهيي (عارف الحياة)... وأنا ذاهبة إلى بيت هيي.